هديل اليمام

هديل اليمام

مختارات شعرية للشاعرة

ساجدة الموسوي

هديل اليمام

تأليف : ساجدة الموسوي

الطبعة الأولى : عام ٢٠٠٤

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

الإخراج الفني وتصميم الغلاف: فيصل حفيان

طباعة وتنفيذ:

مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي :

مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع

دمشق – سوريا

هاتف : ٥٦٢٧٠٦٠ – فاكس : ٥٦١٣٢٤١

ص . ب : ٣٠٥٩٨

لم تكن حياتي سوى زوبعة مدلهمة
تخللتها هنا وهناك بعض الشموس البراقة..

بودلير

عذراً...

لم أرد بالمقدمة التالية لـ(هديل اليمام) أن أسرد سيرة حياتي، فهي طويلة مثقلة بعناقيد الأسى وجرار الدمع.. وكانت أيضاً مكتنزة باشراقات إنسانية من الفرح والألم كان دليلها ونجمة سراها ضمير ظل هو الرابح الوحيد..

ولكني أردت أن أطلع القارئ العربي على الصيرورة الأولى لذلك العالم التلقائي الذي احتضن دهشة الشعر وأفضى بمكنوناته فيما بعد..

أردت أن أحيط القارئ بأجواء القصائد التي ضمتها هذه (المختارات) وخلفياتها فالقصيدة ابنة زمانها ومكانها وهي إن خلدت فذلك لكونها عبرت بصدق عن القيمة المعنوية للحدث في زمانه ومكانه وعن التجليات الإنسانية لذلك الحدث..

تنوعت قصائدي بتنوع الظرف الذي فرض ذاته وانكساراته القزحية عليّ..ولأنها مختارات مما كتبته على مدى ما يقرب من ثلاثين عاماً هي عمر تجربتي الشعرية وجدت من المناسب أن أحيطكم علماً ببعض

الأحداث التي فجرت تلك القصائد وجعلت منها شرراً يتطاير من نار أوقدها القدر أو سلسبيلاً يجري كالنبع الهادئ من بين الصخور...

وعذراً إن أطلت.. وعذراً إن بكيت..

ولستُ وإن كانت علي حبيبةً

بباك على الدنيا إذا ما تولتِ(١)

ولكني أبكي على وطني

كلُ خسارات الإنسان يمكن أن تعوض أو تهون إلا الوطن...

فاقبلوا عذري ...

ساجدة الموسوي

دمشق/ نيسان/٢٠٠٤

---

(١) الشاعر العربي مرّة بن محكان

ألا أيهـــا البيـــت الذي أنـــا هاجــره

فــلا البيــت منســـيٌّ ولا أنــا زائـــره

السمهري / شاعر عربي

البيــت الأول الــذي فتحــت عيــوني عليــه كــان في منطقــة (العلوية) ببغداد لا أتذكـر منه سوى ذلـك البسـتان الـكـبير الوارف الظلال حيث غالباً ما كنـا نلعب فيـه أنـا وأخـوتي وأبنــاء الحــارة، وحينمــا تتــضج ثمــار الخــوخ والمــشمش والأجــاص والعرمــوط والـكوجــة، أوائــل الــصيف كــان يطاردنا الحراس لئلا نقطف شيئاً مـن تلـك الثمـار المتدليـة اليانعـة... كنـت أجلس تحـت ظـل نخلـةٍ واسـتمع إلى هـديل اليمامة تبحث عن ابنتها الضائعة بحرقة..

"يا قوقتي...

وين أنتِ ؟ (أي أين أنتِ) ويأتي رجع صدى السؤال من بعيد

- في الحلّة

ثم تسأل بقية اليمام

وشتاكل؟ (أي ماذا تأكل؟) فيجيبها اليمام

- باقلّة (أي باقلاء)

وأشتشرب؟ (أي ماذا تشرب؟) فيجيبها اليمام

- ماي اللّه (أي ماء اللّه)

أعود إلى البيت وأنا مندهشة البال حزينة على تلك اليمامة التي فقدت ابنتها..يسرح خيالي مع اليمامة الصغيرة التي

فارقت أمها... وأردد طول الوقت(يا قوقتي)، كان ذلك أول نشيد حفظته عن الحياة... .

كنت أشتاق حضن أمي ولكني في الغالب لا أجده خالياً، فهي إمّا حامل أو ترضع أو تهدهد أو تقمط... لذلك صادقت النجمة البعيدة التي تسهر معي عندما أنام على فراشي وحيدة فوق السطح..أتأملها واسألها وأحسُّ بها تجيبني وتشعر بما أشعر..



عندما ذهبت إلى المدرسة أحسست أنني في حضن أمي... عالم طارت فيه أحلامي كالفراشات الذهبية وعندما كرمتُ ذات يوم برفع علم المدرسة خلال مراسيم تحية العلم أحسست أن هناك حضناً أوسع لقلبي الصغير..ألا وهو وطني...



كان يرافقني في طريقي من البيت إلى المدرسة وأغني له

موطني... .موطني...

الجلال والجمال..والبهاء والسناء

في رباك... في رباك...

كانت زميلاتي يطلبن مني أن يزرنني لأساعدهن في بعض الدروس، وكنت أعتذر ليس لأنني لا أريد مساعدتهن..كنت أحبهن ولا أعتذر خلال الدوام عن المساعدة، ولكني في البيت أكون مثقلة(أنا بنت العاشرة) بأعباء فتاة في سن العشرين... كنت الوحيدة بين سبعة بنين وعلي أن أساعد أمي... في الوقت المتأخر من المساء كنتُ أحضن كتابي ولا أنام دون أقرأ.. بعد قراءة الدروس وإكمال الواجبات كنت أقرأ لجرجي زيدان والمنفلوطي وجبران خليل جبران... دخلت عالم الكلمة الساحرة وبدأتُ أحلق وأحلقُ وتستمر معي تداعيات ما أقرأ وأنا أغسل الصحون أو أنظف البيت أو أغسل ملابس أخوتي الصغار، أهيمُ برؤى ساحرة تنهال عليّ من بطون الكتب التي أقرؤها، فينزلق الصحن من كفي على الأرض... يتهشم فأعود إلى أمي أعتذر باكية...

تقول: متى تنتهين من تكسير الصحون؟

أقول: أحاول ..

تجيب... هذا بسبب السرحان...

وأدري أني كنتُ أسرح كثيراً... ربما كان سحر القصائد والقصص التي أقرؤها يشدهني فأسرح..علمت فيما بعد أن الرواية التي أقرؤها هي (الأبله) لديستوفسكي معناها الحقيقي ليس الأبله، بل المشدوه... كان مرهف الحس عظيم الخيال و كثيراً ما كان منشدهاً بما يراه ويسمعه في عالم حاد ولاذع تتنافر فيه الأقطاب ويكثر فيه اللا معقول...

ثم كبرت أجنحتي فبدأت أحلق مع طه حسين وتوفيق الحكيم... وأبي فراس الحمداني والمتنبي... ثم أغوص إلى الماضي لأفك أسرار أمرئ القيس ولبيد والنابغة وغيرهم من شعراء العرب وأعود إلى زمني الحاضر لأحضن وطني مرة أخرى وأنا أردد مع السياب:

الشمس أجمل في بلادي

من سواها...

والظلام...

حتى الظلام

هناك أجملُ...

فهو يحتضن العراق...

كنت أحسُّ بوطني تارةً زميلاً يجلس على مقعد الدرس معي يحاورني وأسأله فيجيبني... وتارة رفيق درب يخففُ عنّي وحشة الطريق... وأخرى أملاً يتلألأ بخيوط الشمس البهية واعداً إياي أن يغسل كل الوجوه المتعبة ويملأ كل البطون الخاوية... يعدني أن يسهر معي حتى الصباح لنكتب قصيدة جميلة للحياة كي تكون هذه الحياة ملك الذين يصنعونها ويضحون من أجلها...

ومرت الأيام فرأيته يجلس مع الحشد الغفير لطلاب كلّية الآداب يستمع لي وأنا أقرأ أول قصيدة لي على مسرح الكلية(المخاض)... ومع الحاضرين كان يصفق لي...

كان معي في حلّي وترحالي..سواء كان هذا الترحال على الأرض أو في سماء الشعر..وكنت وأنا أهندس مكوناتي الشعرية داخل زجاجة الضوء بين أصابع الضلوع في عتمة الليل المتلاطم حولي كان يمد لي أجنحة رقيقة تلتف حولي وتحلق بي فأتذكر حضن أمي الذي مازلت أشتاقه... هو معي أينما أكون... مرة أراه في عيني أبي الحنون وأخرى أراه في وجه معلمتي الباسم... وأخرى أسمعه في ضحكة

أخـي الـصغير الـذي يمـسك بجـديلتي ولا يريـد أن يتركـني لاثغاً باسمي...

هو معي أينما أكون... أكبر فيكبر معـي... أسـهر فيـسهر معي..أسافر فيسافر معي...

وذات يوم دخل عليّ وانأ أتولى موقع - مـديرة تحريـر مجلـة المرأة- التي كانت تصدر عن الاتحاد العام لنساء العراق... كانت معه باقة ورد وجوقة عصافير... هنـأني ووصاني أن لا أغادر الشعر...



وبقيتُ أكتب له أجمل القصائد... .

"غصنُ عمري التوى

على نخلة في العراق

فإن شاءت الريحُ أن نفترق...

نفترق..

غير أني أموتُ

ويبقى العراق... ."



جاءني ذات صباح وهو يرتدي البزة العسكرية... فدهشتُ انتابني خوف وحزن امتزجا في زجاجة القلب فسرى حريق من أخمص قدمي حتى هامتي...

كيف ؟..لماذا؟

قال ..لا تسألي... ثم مضى إلى جبهات القتال...



سنة إثر سنة وهو يقاتل..انتهت حرب وجاءت حرب...

كان يمنع على النساء أن تقاتل...

عليهن حماية البيوت والمدن...

حكت لي صديقة تعمل مصورة سينمائية أرادت أن تلتقط البطولات الحيّة للمقاتلين في إحدى جبهات القتال،

وكانت مصرة على ذلك فقال لها الضابط المسؤول...

أوافق بشرط...

قالت: ماهو

قال: إذا أُسرنا أكون أول من يقتلك!

سألت: ولماذا؟

قال: كي لا ينال من شرفنا الأعداء...

ألا يالقومي للتجلدِ والصبر
وللقدر الساري إليك وما تدري
وللشيء تنساه وتذكر غيره
وللشيء لا تنساه إلا على ذكرِ

القتّال/شاعر أموي

أواخـر عـام١٩٨٩ غـادرتُ إلى لنـدن لأعمـل دبلوماسـية في سـفارتنا هنـاك حيـث عينـت معـاون المستـشار الـصحفي وباشـرت عملـي في المركـز الثقـافي العراقـي في توتنهـام كورت رود... لم يكن ذلك باختيـاري بـرغم أنـي أهـل لهذه المهمة أو تلك... ولكنه القدر الـذي حكـم علـي أن أصـارع ويـلات المـرض الـذي ألمّ بـابنتي الـصغرى (فـرح) فـشلّ مفاصلها وبوالدها حيث تكررت عليه النوبات القلبية...

أربع سنوات قضيتها في لندن كـان خلالها وطني محاصـراً وجريحاً بعد عدوان الأربعين يوماً لأربعـين دولـة .. فالحصار الممض.

غادر كل من في السفارة العراقية من موظفين بسبب قطـع العلاقة بين البلـدين... كنـت أداوي ابنتي بـاليمنى وزوجـي باليسرى وقلبي على وطني... كان قلبي ينزف وما مـن أحـدٍ يداويـه... كانـت الغربـة تطبـق أجنحـة خفافيـشها حـولي، دمعـتي علـى طـرف العـين همّالـة... والـسماء هنـاك همّالـة فيمتـزج الـدمعان دمـع عـيني بـدمع الـسماء الـتي كانـت تشاركني الوجد...

أمـام غرفـة العمليـات في مستـشفى نـورث وورك بـارك في مدينة هارو كنت وحدي وضاقت الدنيا حتى صارت أصغر من (خرم الإبرة...) أخذوا مني فرح وكان والـدها في البيـت مريضا... وحدي لم يكن معـي أحد فجاء وقد بدا التعب علـى محيـاه ربـت علـى كتفـي... واسـاني وشـدّ مـن أزري... ابتسمت وفي صباح اليوم الثاني كانت فرح على سـريرها بعد العملية تبتسم بكل براءة الأطفال.. ووالدها إلى جانبها وقد جلب لها دباً أبيضَ كبيراً... .

في المساء تأملتُ وجهه البعيد فكتبت:

تكفهرّ الدّنا

وتضيق الدوائر...

- أنتِ حائرةٌ- ؟

لا... إنما الصبرُ لما رأى جَلَدي

بات حائر...



كتبت ونشرت عشرات الموضوعات الصحفية والقصائد بعضها أرسلته لينشر داخل الوطن والبعض الآخر نشر في جريدتي العرب اللندنية والقدس العربي...

عام ٩٣ نُشر لي في عمان ديوان (قمر فوق جسر المعلق) ضمّ أغلب القصائد التي كتبتها في لندن... هناك قدت التظاهرات وأصدرت النشرات والبيانات... كنت وحدي أمثل وطني وأحاول أن أحمي ظهره من نبال الأعداء التي كانت تتراشق عليه حتى تكاد صورته تختفي تحتها...

من نافذة المطبخ اعتدت أن لا أرى في سماء لندن إلا الغيوم الرمادية والمساء بصمته الموحش... أزحت الستارة ذلك المساء ليطالعني قمر باهر... إنها المرة الأولى التي أرى فيها القمر في سماء لندن... ذكرني بسماء العراق... كأني رأيت العراق في ذلك القمر وصرت أناجيه عن بعد واسأله عن نجمة الطفولة البهية حتى اغرورقت عيناي وبدأت صورته تغرق من خلال الدموع... كانت المدن قد دمرت والجسور قد هدمت وآلاف الأرواح قد زهقت في العدوان الثلاثيني(١) الذي قادته أميركا ضد العراق عام٩١ انكسر الجسر المعلق... وتحطم الجسر الجمهوري ذلك الجسر الذي وقفت عنده نسوة بغداد يبكين ويرددن:

---

(١) يسمى ثلاثيني ولكن الدول التي شاركت فيه هي أربعون دولة.

(نـايم المـدلول(أي المـدلل) حلـوة نومتـه   احنـه البنينـاه وأمريكـا هدمته)...

ربما يكون أسهل على من في الوطن أن يرى جرحه العميق فيحاول تضميده عن قرب ..ولكن الأصعب والأكثر قهراً للنفس أن ترى جرح الوطن وأنت بعيد عنه...

وحظيتُ في تلك السنة بالمشاركة في المؤتمر التأسيسي الأول للتجمع القومي العربي الذي مثل المثقفين العرب في أوربا وكان من أهم قراراته إدانة العدوان ودعم صمود الشعب العراقي وكان الحاج أحمد الهوني رئيس جريدة العرب اللندنية هو المؤسس لهذا التجمع كما حظيتُ بالمشاركة في تأسيس جريدة التيار العربي التي أصدرها الكاتب العربي المرحوم سعيد حبيب وكانت جريدة قومية نقية.

في تلك الأثناء رقد زوجي في إحدى مشافي لندن وكانت فرح تعالج في مشفى آخر..

ووطني يئن... وأنا أحن...

فاشهق وكأني أحمل جمراً تحت ضلوعي...

آه يا وطني...

يا هواي ويا شجني
حين ألمسُ جمر عذابك
في البعد أبكي
كل ثانية من عذابك
تؤلمني...
آه يا وطني...

في الوقت الذي كانت فيه الناس تهرب من العراق إلى الخارج تخلصاً من عذاب الحصار وأخطاره الشنيعة ... عدت وعائلتي إلى بغداد عدت متلهفة للقياه... جريحة القلب دامعة العينين... وكان لما يزل مريضاي بحاجة إلى العلاج... لقد انتهت مدة خدمتي الوظيفية(أربع سنوات) ووطني بحاجة إليّ...

احتفى بعودتي الوطن احتفاءً رائعاً لا أنساه ورحبت الصحافة اليومية بقدومي... وكانت سنيناً عجافاً كنت خلالها أصارع الألم داخل البيت مع أهل بيتي المرضى وخارج البيت وأنا أقرأ في المشافي علامات مثل (لا توجد رقائق شعاعية) ... وتُجرى العمليات الجراحية أحياناً بدون

مخـدر... قلـة وانعـدام أنـواع مهمـة مـن الأدويـة... شـح المعقمـات... ميـاه الـشرب بـلا تعقـيم بـسبب منـع اسـتيراد الكلـور لأنـه حـسب مـا يـدعون يـدخل في تـصنيع الأسـلحة الفتاكة... .

مليون ونصف عراقـي لقـوا حتفهم جـراء الحـصار الـذي دام ثلاثة عشر عاماً دون هوادة...

صـدر ديـوان – شـهقات – وبـرغم تواضـع طباعتـه إلاّ أنـه كـان يـشكل إنجـازاً شـعرياً مهمـاً بالنـسبة لـي ... نـشرت قصائده في عواصم عربية وترجم ونشر في الكثير من مدن العالم.

عـام ١٩٩٨ وبعـد عـودتي مـن الأسـبوع الثقـافي العراقـي في السودان توفي زوجي إثر نوبة حادة ... كان عليّ أن أواصل وأن لا أنحني لعواصف الزمن... كانت يد الوطن مرة أخرى تربت علـى كتفـي وكـان التفـاف النـاس حـولي وحـبّهم لـي أكـبر تعـويض أتلقـاه في حيـاتي عـن كـل تلـك الخـسارات الهائلة والانكسارات المريعة... وواصلت جهادي ...

((ضع ملحاً فوق الجرحِ تجلّد

وسّع (خرم الإبرة) بالصبر النشوان

قل رحمةُ ربي أوسع...

ماذا نالت كفٌ صافحت الأعداء

وضمير بالخمسةِ

وقّع

قل.. لن أتراجع

لن أرجع...

هذا وطني.. أي روحي... أي قلبي ..أي شريفي

غير بلاغي هذا يا هذا ... ماذا تتوقع ؟))

وتذكرت ما قاله زادوك بطل رواية (المعتقل) لجيمسون كاييرا عشية الاستقلال ((من الأفضل أن ندمر أنفسنا من أن نجعل الأجنبي يفعل ذلك)).

بعد كل كسرة خاطر من الدنيا ..أعود أقوى ..

وبعد كل صهرة في مرجل الحياة أخرج أشد وأنضر

حتى سألتني ذات يوم أخت عربية التقتني في إحدى المؤتمرات في القاهرة ... أراكِ تضيئين ؟

قلت أجل ..

أضأتُ لأني احترقتْ))



صعدني حب الناس إلى موقع عضو مجلس وطني – وهو موقع رفيع لم تحظ به سوى عشرين امرأة في عموم العراق من بين ٢٥٠رجلاً انتخبهم الشعب لهذا الموقع ... لم يبعدني ذلك عن الأدب والشعر بشكل خاص ... كنتُ نائب رئيس لجنة حقوق الإنسان وسعيتُ بكل جهودي أن أكون بارّة لثقة الناس الذين صوتوا لي وأولوني ثقتهم ...

ثم جاءت الحرب وحشاً كاسراً لبس ثوب العواصف المدمرة فدك الأرض من تحتنا وأشعل السماء...

كانت حرب تدمير لكل شيْ وحرباً صهيونية تختفي تحت العلم الأمريكي.



رأيتها بأم عيني كيف تفترس الناس والأبنية والمكتبات ودور العلم والجوامع والكنائس وترعب النساء والأطفال ... رأيت الدمار والخراب ... شلّت أنفاسي وكدت أختنق وأصابني ذهول لا تزال بقاياه في دمي...

وطني ... حبيبي أمامي جثة تحترق... أمامي آلاف السنين التي أضاءت علماً وأدباً وفناً وأشرقت على الدنيا بشمس

الحضارة ... تنطفئ كلّها تحت حرائق الحقد الأعمى وجنون الحاقدين ...

لا ... إنهم كذابون ... لا يريدون الحرية لنا كما يدعون...

جاؤوا لتدمير هذا الوطن الجميل ...

صار جثة يعلوها الدخان والغبار والناس سكارى من شدة الإعصار ... .

ورويداً رويداً أخذت روحه السامية تتوزع فينا ... أخذ يتنفس وهاهو يقاتل المحتلين بكل بطولة وضراوة وشمم ينبضُ في كل قلب أحبّه ويشرق في كل وجه نبيل يرفرف مع كل عصفور على النخيل ويغرد تحت أغصان الشجر.. موسيقاه الخلود... ونبضه الوفاء... ميعاده التحرير وعرسه اللقاء... غداً نلقاك ثانيةً أيها البهي الأصيل....

غداً نعانق فيك الغيمة والنجمة والنسمة

غداً أقول لكل الناس لقد عاد حبيبي وطني سليماً معافى منتصراً بعون الله... .

ألم يقل أحد الوزراء للرشيد وقد أقبلت جيوش الروم من كل حدب وصوب...

((تكــاثرت الظبــاءُ علـــى خـــراشٍ

فــلا يــدري خـراشٌ ما يصيـدُ ... .))

فاجابه الرشيد بعد عامٍ حيث هزمت تلك الجيوش

((تصّيـدها خــراشٌ بعـــد حـــولٍ

ولـــولا اللــه مـاكـانــت تصــادُ))

هـا إنـي في غـربتي الثانيـة بعيـداً عنـك اكتـب لعينيـك ...

وأعيد نشيجي...

((ونبـئت ليـلى بالعـراقِ مريضـةً

فمـــاذا الـــذي تغنــي وأنــتَ صـــديقُ))

سقى الله مرضى بالعراق فإنني

على كــلّ شــاكٍ بالعـــراقِ شفيـقُ... (٢)

ومازلـت أحـنُّ حـنين الناقـة علـى ولـدها... وأهـدل كهـديل تلك اليمامة التي فارقت ابنتها ((ياقوقتي ... وين أنتِ...)) تلك الأغنيـة الـشعبية الـتي يرددهـا أطفـال العـراق حتـى هـذا اليـوم وهــم يـسمعون اليمـام يرددهـا في الـسماء البعيـدة ... وليس اعتباطاً أن(الحلة) هي مدينة على أرض بابل القديمة ... بابل التي غنّى لها الشعراء

---

(٢) الشاعر الأموي طهمان الكلابي

وقال عنها الشاعر هوميروس

((بابل كأس بيد الرب جعل الأرض سكرى)) ...

بابل عشتار حبيبة تموز التي غنت له :

((أسرجت سنيني
في مصباحٍ من بلّور
نذرت حياتي من أجل هواه
وجمعت حصاد ربيعي
ورداً تحت خطاه ...
أفبعد حبيبي تموز
يمكن أن أعشق أو أهوى ؟
من ؟ .. من سيكون سواه ؟

وحين يبلغ الشوق الزبى – يجيء صوت تموز إلى عشتاره البابلية ... بعد سنين طويلة وهي في غربتها ... يجيئها من خلال البرق والمطر في قصائد السياب ...

((لو جئتِ في البلد الغريبِ إليَّ
ماكَمُلَ اللقاء ...
الملتقى بك والعراقُ على يديّ
هو اللقاء)) ...

أجل فالهديل يتواصل .. واليمام يحلق ويحلق إلى أبعد نجمة بابلية ماتزال صديقتي وإلى أروع قمر في الوجود وطني الحبيب.

المفتاح

مفتاحٌ دارَ بباب القلب
فلم يفتح
مفتاحٌ آخر
دارَ فلم يفتحْ
دارت كلُّ مفاتيح الدنيا
لم تفتحْ...
لكنَّ يداً حانيةً طرقت
سقط البابُ
وذابت حبات القلب

الأم

حكاياك تأتي
قطارات ليلٍ حزين
فلا من ألوذُ به من شجون
ولا من ألوذُ به من حنين...
تذكرتُ يوم وضعتك
في المهد طفلاً
وغنيتُ لكْ
يا حبيبي الصغيرْ
يا جناحي الذي
سوف يجعلني..للسماء أطيرْ
تذكرتُ يومِ مرضتَ
فرحتُ أفتشُ في الحّيِ
عن أيِّ عارفةٍ أو حكيم لأنجو
بوجهك من كلِّ شر
وكلِّ أذى

وإذ خيّم الليلُ حولي
توسدتُ همّي ونمتُ
ولمّا يزلْ في جوانحيَ المتعبات
سريركَ يأتي ويغدو
ثم يأتي ويغدو
وأغنيتي تتردَّدُ مثل بكاء القطار البعيد...
"دللول يا الولد يبني دللول
وعدوك عليل وساكن ا لجول"(١)
لم أذق طعم صحوي
ولا طعم نومي
تعذبني اللحظاتُ
وتجلدني بسياطٍ أليمةْ
لأن المنيهَ بكْ
رواد تني
وصارت تهددني
باختطافكَ منيِّ

(١) تنويمة الأم العراقية لوليدها، والجول هو البيداء الخالية من البشر

ومرَّتْ ليالي الشتاء الحزينةْ
ومرَّتْ ليالي المصيف
كَبرتَ
فصرتُ أخافُ من الريحِ
إن أتتِ الريحُ من جهةِ الشرقِ يوماً
أخافُ من الريحِ
إن أتتِ الريحُ من جهة الغربِ يوماً
لئلاّ تبعثر شعرك
لئلاّ تنازع قامتك الباهيةْ
صرتَ لي ولدي
وأخي وابنَ عمي وأهلي
صرت مرآة وجهي
إذا ما ابتسمت
كنتُ أسعدَ مخلوقةٍ
على هذه الكرة البائسةْ
وإذا ما حزنت
كنت أتعسَ مخلوقةٍ فوقها،
ثم مرَّت ليالي الشتاء الحزينةْ

ومرَّتْ ليالي المصيف
يقولون:شبّ ابنُكِ اليومَ عن طوقه
أجيبهمو:
لا تقولوا: كبرْ
وتكبر... تكبر..حتى...
تصيرَ رجلْ
وأنكرُ أن..
أن تكونَ رجلْ
لا أريدكَ تكبرْ
ففي حجرة الروحِ مازلتَ بالمهدِ تلعبْ
ومازلتُ فيك أغني
"دللول يا الولد يبني دللول
وعدوك عليل وساكن الجول"
وإذ يطرق القلبَ صوتُ المنادي
ألا فليهبَّ الرجال
لقد ضيّقَ المعتدون علينا الخناقْ
فإما الفناءُ
وإما العراقْ

نهضتُ (أصحيك) من عالم الأمهات

وأدفعُ بكْ

للمنية دفعاً

لقد ضيّق المعتدون علينا الخناق...

فهاكم وليدي

ويبقى العراق

❖ ❖ ❖

سألتني النساء

أيُّ كحل لعينيك يصلحُ
بعد البكاء؟
أكحلُ اليمامةِ؟
أم كحلُ نجدٍ
أكحلُ مراكش؟
أم هو كحلُ الشآم؟
وطال السؤال
وطال الكلام
وجربتُ هذا وذاك
فما زاد عيني جمالاً
وما زاد رؤياي بعداً

❖ ❖ ❖

حين جئتك بعد الفراق
سألتني النساءُ
ما نوع كحلك؟

ومن خط عينك؟
وماسرُّ هذا التألق
والانطلاق؟
قلتُ:مشطتُ شعري
بريح بلادي
تعطرتُ بالطلعِ
والرازقي
وفي غمرة الاشتياق
مددت يدي
وأغمضت عيني
فأصبحت مكحولةً
ومشدوهةً
بالهوى.. والندى
والعناق..
كانت الريحُ مشطي
وكحلي..العراق

غناء

هزّ روحي غناءٌ

علّ قلبَ المغني جريح

والسماءُ تغيّر من ألمٍ لونها

فادلهمت

وكادت من الحزنِ تبكي..

فزمزم برقٌ

وجاشت من البحرِ ريح

لعلّ المغني غريب

وحنَّ لعلَ المغني

قريبٌ وأنكره أهله

بل لعلّ المغني

بسكين أصحابه الأقربين

ذبيح...

علَّ أهل المغني نيامٌ

علَّ قلب المغني

جريح

صمت

وبعض السكوتِ رضا

وبعض السكوتِ احتجاجْ

بعضه كظمُ غيظٍ

بعضه ندم

بعضه نعمٌ واقتراب

بعضه غرق في أتون الخيال

بعضه سفر فوق متن السحاب

بعضه لوعة لسؤال كبير

بعضه قد يوفي الجوابْ...

بعضه جمرة تحت كوم الرماد

بعضه ابتراد...

بعضه شجن   بعضه حزنٌ

بعضه قلق وارتياب...

فقل كيف فسرت صمتي

وكيف اقترحت على العينِ

فك رموز الخطاب؟

هدوء

ولا نجمة أفصحت عن رؤاها
ولا نسمة خطرت من رباها
ولا جرسٌ كسر الصمت في أذننا
ولا قطةٌ مرقت
ولا وردة نفحت
ولا عشبة رجفت
كل شيءٍ كساه الهدوء
كل شيءٍ علاه الوجوم
حيث يرقد طفل شهيد
بغزة
في حضن أمٍّ
شهيدة !

صورة

قال الأول: لو كانت في أعلى الحائط

قال الثاني: لو وضعت أدنى من هذا

قال الثالث: لو وضعت في الجهة اليمنى

قال الرابع: لو وضعت في الجهة اليسرى

وأزداد الجدل المحموم

حتى استيقظ من عمق الصورةِ شيخ مهموم

..صاح بأعلى صوته:

((يا أولادي... اتفقوا...)) !!

❖ ❖ ❖

لعبة

كان على الرقم العاشر
بلعته الأفعى للصفر
وجاء الحظ فصعده للخمسين
بلعته الأفعى ثانيةً
وصل الرقم التاسع والتسعين
بلعته الأفعى...
((من وضع الأفعى في اللعبةِ يا أولاد؟
أفلا يمكن أن نلعبْ
إلا والأفعى معنا؟))
قال أخوه: ((كيف أفوزُ إذا لم تبلعك الأفعى؟))(١)
وتأملت سباق الموت
بين الطفلين

---

(١) هناك لعبة معروفة للأطفال تسمى(حيّة ودرج)أي أفعى وسلم تعتمد على الأرقام والحظ.

كنت أظن المشكلَ في الأفعى

تترصد ضعف الأخوان..

لكنّي أدركت أخيراً

أن المشكلَ في الإنسان !!

ورد وشوك

وردٌ أحمر في الدورق
وردٌ أزرق في الفستان
وردٌ في لوحةِ حائط
وردٌ في السجادةِ
في الصحنِ
على الفنجان..
وردٌ..وردٌ..في كل مكان..
إلا تلك النفس
امتلأت شوكاً
وبدت تجرحُ حتى النسمةَ
لو مرت عابرةً
في نيسان
وأنا
علمني البستاني

كيف أزيل الشوك من الجوري

ولكن..ما علمني

كيف أزيل الشوك

من الإنسان !

عراقية

كانت تملك داراً
باعتها واشترت الخبز
ولها غرفة نومٍ
وفراش
باعته لأجل الخبز
لم يبق لها شيءٌ
غير كرامتها
أتجوع؟
أتبيع؟
لم تتأخر في الرد كثيراً
ولهذا جاعت
بل شبعت جوعاً
وأبت أن يسلبها الجوعُ
كرامتها..

الخاتم

أمام باب الصائغ العجوز

تأملت

وشدّها التوهج الشديد للذهب

اقتَرَبَتْ

كان ألفَ خاتم

من أنجم السماء

خلف لوحة الزجاج

نحوها يثب

واحتشدت في كفّها

أصابع تشتاق من خواتم النجوم

واحداً..لا غير

واحداً...

كما تحب

تأملت ثانية

وبالأصابع التي تمنت النجوم
أخرجت من بنصر اليسار
خاتم الزواج
باعته...
واستدارت خلف باب الصائغ العجوز
تزدهي وتزدهي
راجعة لبيتها
ببعض خبز ورطب

وأمطرت على الكتب

وجدته

على رصيف شارع السراي(١)

يبيع ما لديه من كتب

عيناه تنظران للمدى

مَن يا ترى سيشتري؟

سألته: بكم تبيع ـ البحتري ـ ؟

فلم يجب

مَن يا ترى

يقايض النقود بالهموم

والدموع؟

كأن في عينيه غابتي شموع

تلبدت من فوقه السماء

وانهمرت دموع..

---

(١) السراي: منطقة في بغداد يوجد فيها أكبر سوق لبيع الكتب

تبلل الرصيف والكتب

تبلل القميص والهدب

في جمعةٍ

في شارع السراي

أمطرت..على الكتب

إصبع فنتولين

(عفواً سيدتي .. ليس لدينا...)

(عفواً أختي.. نفد الباقي)

(عفواً..دوري خلف بنايتنا خافرةٌ أخرى..)

درتُ فدارت خلفي الريح

تهدأ حيناً ثم تصيح

تتهدج أصواتٌ

تتراكض أشباحٌ

تتهامس أطيافٌ

مما بي أتجاهلها

أمشي في الظلمةِ أو شبه الظلمة..

أتأبط همي

وبقايا يومي

أبحث عن إصبع فنتولين

للرجل الراقد

خلف شغاف القلب

وتحت العين...

كدتُ من الوحشةِ والهم أصيح

فتردد صوتي الريح..

يا من يسمع

من يحمل في جيبه

أو في بيته

إصبع فنتولين

أتكون حياة الإنسان مهددة

بدواء حجم الإصبع؟

من يتوقع ؟

من يسمع ؟

وحدي أمشي

الشارع يفضي للشارع

والحيّ إلى الحيّ

في السوق الخالي

أصيحُ بأعماقي- فنتولين-

فيجيء صدى الصمت

إلى قلبي المخنوق بدمعي
فنتولين...
مفقود...
ومريض ينتظر الظالم إيكيوس(١)
إيكيوس في تلك الساعةِ
يشخرْ
أو يسكرْ
وأنا أتدمّر...
إيكيوس يشرب خمراً
وأنا أشرب قهراً...
من أين أجيء بإصبع فنتولين؟
اللعنة للظالم
والخزي لمن يذبح إنساناً
كي يتربع عرش العالم...

---

(١) ايكيوس:رئيس فريق المفتشين عن أسلحة الدمار الشامل في العراق (القصيدة نشرت في جريدة الجمهورية عام١٩٩٧ولاقت صدى واسع في العراق وخارجه)

❖ فنتولين:دواء يستخدم لعلاج الربو الحاد

لا تلمني

إذا جف نبع العيون
ولم تبق سلوى لحزني
وإ ن ذبلت زهرة القلب
من شوقها والتمني
إذا صار حبي عذاباً
وكان ارتياحاً ولقيا
وإغماضةً للهناء
تشاغل لحني
إذا صرتْ نواحة
وجياشةً
لا تلمني
كل شيء يعوّض إن غاب عني
سوى وطني

انتظار

ليلةٌ من حنين

ليلة من مطر

غاب فيها النعاس

نام فيها الشجر

أطبق الصمتُ فيها على كل شيء

عدا قلقي المنتظر

((وحدنا))كنتُ

لا أحد غيرنا

قلتُ يا ريح هاتي صدى أهلنا من بعيد

ويا برج روحي

راقب طلوع القمر

قطار من الحزن يمشي على سكة العمرِ

أسمعه من بعيد

كمغن جريح(أوف .. أوف ..أوف))

يسيرُ الهوينا

وأدري المحطات موحشة

والقناديل مرهفة

والمساء طويل.. طويل ..

لا أنيسٌ .. ولانأمةٌ

غير أوراق ذابلة.. ومداد حزين..

غير بعض الرسائل . بعض الصور..

ليلة لا أبالي تطول .. إذا ما تلاها ..نهار ...

وأدري يجيءُ ..

وحتماً يجيءُ

وحتماً أنام على راحتيهِ

وأغفو

كما يحلو لي

في ثنايا الزهر

لندن ١٩٩٢

تداعيات إلى العصر الحجري الأول

كان الإنسان

يقتل حيواناً كي يأكل

صار الإنسان

يقتل إنساناً كي يأكل



كان الإنسان بلا لغة يفهم

صار بكل لغات العالم

لا يفهم



كان بلا بيت

فالعالم بيته

صار له بيت

فسعى لخراب بيوت الناس



كان الإنسان

يحب الإنسان

يشاركه الحزن

يشاركه الخبز

ويحميه من الطغيان

صار اليوم

بأقصى درجات العلم يخطط

كي يسلب حق أخيه الإنسان

ويحاول مجتهداً

أن يمحوه عن الأرض

لكي يبقى منفرداً بالعرش

زعيماً في كل مكان



آه لو نبعث ثانية

للعصر الحجري الأول

كي نفهم((معنى الإنسان)) !

ماذا تتوقع

ضع ملحاً فوق الجرح

تجلد ..

وسّعْ (خرم الإبرة)

بالصبر النشوان

قل: ((رحمة ربي أوسع))

ماذا نالت كفٌّ صافحت الأعداء

وضمير بالخمسة وقع

قل لن أرجع

قاب القوسين وتنفلق الظلمة

عن شمس وجباهٍ شمٍّ

تسطع بالنبأ الأروع

قل لن أرجع

هل غلب الكفار نبياً يوماً ؟

أو يهزم من جاهد ؟

لن يهزم حتى يستشهد..

قل لن أرجع

فالموت سواء بالسيف

أو الجوع .. أو الخنق سواء

والفرق إذا قدّ الموت قميصي من قبلٍ

أو من دبرٍ ..

وأنا ما اعتدت الأدبار ..

وما خفْتُ غوائلها يوماً

أو رفّت شعرة خوفٍ في جسدي

من شرب السم زعافا

من كأسي يشهد ..

قل لن أرجع

ولتكن الأرض جحيماً

ولتكن الساعة حشراً

والظالم حر فيما يأمر أو يفعل

هذا وطني

أي قلبي

أي روحي

أي دورة عمري

أي أهلي..أي شرفي

هل غير بلاغي هذا

ماذا ياهذا تتوقع

هل أعطيك فراتين أسيرين

أم أعطيك نجوم الكرخ

على طبقٍ من كهرب؟

أم أعطيك نسيم الفجر

إذا مرّ على غابات النخل

وضوّع

هل أعطيك مفاتيح البيت

وأركع؟

اعمِهْ في غيّك

اعمهْ في جورك

اضربْ رأسك

مزّقْ ثوبك

لن أتراجع

لن أرجع

وأقصُّ يدي

إن أجبرها الجوع على التوقيع

أقصُّ أصابعها

ماذا يا هذا تتوقع

أجزع

لا لن أجزع

وأوسّع (خرم الأبرة)

حتى يصبح نافذة((للأمل الأبهى))

وأحلق منها

للقمر العالي

فأرى بابل تشعل شمعاً وبخوراً

وبنات البصرة يلبسن ثياب المجد

بغداد عروس الدنيا

يأتيها القمر الكرخي

فترفع للشمس عباءتها

وتطأطىء للواهب هامتها
ياقمر الكرخ
امسك طرف الفجر
وخذ ريحانة إيمانك
وحلاوة صبرك
اشرب قدح العزّ
البس نعلاً
دُسْ رأس الظالم
باسم الرحمن الواهب
سبّح... سبّح
واسجد للّه تعالى

زيارة

انتشر الزوار بأرجاء الصحن
الصحن أضاء بأقمار
وتلألأت الأضواء قبيل صلاة المغرب
حول المرقد دارت عشرات النسوة
أيادٍ بأصابع خالية
أو مزهرة بالؤلؤ
والياقوت
أصابع فيها حناء حمراء
كالمرجان
تحاول أن تمسك بالعروةِ
في الشباك الفضي
تشد على الأقفال
على القضبان
روائح جد نائم

وعبير قرون مرّت
دعوات تتعالى
بين ثريات وشموع
ومرايا تتلألأ
كالنبض على الحيطان
نساء ، أطفال ، وبنات
من كل مكان
في الركن امرأة
جلست أرضاً ، تقرأ في القرآن
أخرى أمسكت الشباك
وعاتبت الجد بصوت (تعبان)
((أيهما أقرب للّه تعالى
نحن أم الأمريكان))
((ولماذا يتأخر ردّ اللّه على الطغيان ؟))
((بحقك عند اللّه أغثنا ..))
واختنقت بالعبرة
ثم بكت بخشوع وحنان

عادت للبيت
كأن غيوم القلب تناءت
وانقشع الهمّ قليلاً
الحزن مضى كضباب النسيان
صلَّت وعلى سجادتها نامت
فإذا ببشيرٍ يأتيها
"يا امرأة أبكتني ..
بل أبكت في المرقد حتى القضبان..
الصبر دواء المؤمن
والصبر سلاح الإيمان
يمهل لا يهمل
وهوالحي الباقي
في كل زمان ومكان
البشرى قادمة
وسينقلبُ السحر على الساحر
إن كنت شكوت بمرقدنا
هلاّ ذكّرك البعض حكايتنا

بل كيف ظُلِمنا
كيف اندحر الظالم
وبقينا..
أوَ ليس اللّه على كل معنا؟
يا امرأة أبكتنا
إن اللّه حباكم عزّاً
وحباكم مجداً
فكفاكم فخراً
فإذا حان عقاب الظالم
قولي"يمهلُ ..لا يهمل .."
"وهو الحافظ والناصر .."
وصحت من غفوتها تملؤها الدهشة
هائمة
بين زيارتها والرؤيا
بين الحاضر والغائب
فتحت نافذة
للشمس النعسى

وهي تردد..

""يمهل لا يهمل.."

وهو الحي القادر

الحافظ والناصر..

هي قالت كذلك

وتسألني: كيف حال العراق
بعد عشرٍ عجاف
من العصف والقصف
والشد والرد
والجوع والبرد
أما زال كلكامش الأمس يبحث عن عشبة للخلود ؟
أما زال يغزل من وهج الشمس
أشرعة
ويشدّ على سرج الخيل راياته
للبعيد..البعيد ؟
أحقاًتموت الرياحين في كفّه
ويعود يواصل تشييد أبراجه
وبعث الحياة كما ينبغي
من جديد ؟

أجل ... وأزيد ...
في وداع الرياحين من ساحة الشهداء(١)
تتصاعد من ورد أكفانهم
سلالات أور وسومر
تشدّ الحناجر همهمة
ويصيح على البعد شيخ بصوت أجش
باسم كلكامش الأرض دارت
ومن محور القامة البابلية
تبقى تدور ..
وقبل وصول الرياحين للمرفأ الآمن المستقر
تطلع عشر بدور
تدور تسبح باسم الإله الرحيم
إن نصراً عظيماً سيأتي
ومن ثمر في ثريا الذرى
يأكل الصابرون
ستطلع شمس بثوب الزفاف تغني

---

(١) ساحة في بغداد

تثير العجب ..
سيسمعها الناس في كل حدب وصوب
فلا تحزنن على الشهداء
هي قالت كذلك
ولا تحزنن على الغرباء
بين إخوانهم وذويهم
ولاتحزنن على لوعة الشعراء...
إن وادي الحصار عجيب
وله أُفق يرتقيه
فإن وصل الكوكب السومري
إلى ساحة الشهداء
ستهتز أعطاف كل الدنا
هزّة لا يقوم لصرختها
أي صرح لظالم ...
وها هو ذا الكوكب السومري
يحاول ..
شدّ كفاً بكفِّ الحسين

فلا تحزنن على الشهداء
هي قالت كذلك
ثم تسألني كيف حال العراق ؟
أنت خلفتني في الهزيع الأخير
تحت قصف العدو وحيد ...
ومَن قال أنّي أحيدْ
أو أبدل دربي
لا وربّي
فذا مددي المستقيم
ولو قطعوا جسدي لن أحيد
ولن أرتضي للعراق العريق
غيرهفهفة العلم السومري
على هامة القمر البابلي
فذي أرض سومر
وذي أرض بابل
بخور المعابد ، رائحة المسك
والزعفران

ذي جنة اللّه
من كوثر الرافدين حباها
ومن عسل التمر والشمس
والنجم والضوء والظل والحسن في كل وجه
وأعراس عشق قديم
يجدد عند صلاة الغروب
وفي كل فجر
وذي جنة اللّه
خير دفين .. وحرز مكين
تراب يضوع برائحة الأنبياء
قباب .. كنائس
دنيا من الألق المصطفى
سحرت كل عشاقها
فهاموا بها
ومازال فيها ومنها التجلي
أتسألني كيف حال العراق ؟
أنت خلفتني تحت قصف النوائب وحدي

وما خفت قصفا

وما خفت عصفا

سأمشي إلى آخر الدرب ؟

يصحبني اللّه والأنبياء

كأن جراح النبيين جرحي

سوف أصعد للشمس منتصراً

وأشرق في مقلتيك

فلا تحزنن

فأنت أخي

ولا أبخلنّ عليك بشمسي

برغم جفاك

ستبقى أخي

حين أضحي

وأمسي .

بغداد ٢٠٠٠

اليمام بكى .. ليلة العامرية

في السنة الأولى للعدوان الغادرعلى العراق عام ١٩٩١ سقطت صواريخ أميريكيةجبانة على ملجأ مدني آمن في منطقة العامرية في بغداد ، كان هذا الملجأ قد آوى إليه ما يزيد على أربعمئة شخص يشكلون قرابة مئة أسرة عراقية احتمت بهذا الملجأ من قصف الأعداء لقد قضي الأمر.. ولم ينج من الموجودين أي إنسانٍ سواء أكان طفلاً... شيخاً.. امرأة.. رجلاً.. من مات ومن احترق ومن تمزقت أشلاؤه كانوا شهوداً على الجريمة الاميريكية الشنعاء.

❖ ❖ ❖

خذ من صبا الرافدين ندى

به تحيي فؤادَك

ومن ليلنا نجمةً

يستدلُّ بها ذاتَ يومٍ

جوادُكْ

خذ ماءَ ورد العراق

فبلل جبينك

ومن نخلِنا السومري

ولو تمرةً

إلى نخلةٍ في السماء

تشدّ عروقَك

أيها الضيف أهلاًوسهلاً

سترى عندنا عجباً

مارأته عيونك



عندهذا الخراب الفجيع

فوق جرح العراق البليغ

عند أشنع ما خلف المجرمون

هنا فوق أطلالِهم

من بقايا تمتّ لأجسادِهم

وبقايا تمتّ لآخر أوقاتهم

في الركام المهشمِ

في السكون المخيم

والانشداه الحزين

قف لحظةً للصلاة على الشهداءْ

فكلّ شهيدٍ له قصة في الوفاءْ
نحنُ مهما حرصنا
لا نوفي العراقَ
ولا الشهداءْ...

❖ ❖ ❖

ربما كان هذا المكان قديماً
مرابع قومٍ مضوا
أو هلالَ بيوتٍ
في النواحي القصيّة
ربما كان في عهده قريةً بابليةْ
شمسُها تدهش الناظرين
محملةً بالثمار الجنية
ربما كان هذا المكانُ قديماً
مزاراً لقوم مضوا
ثم آل الزمانُ
وآل المكانُ
إلى ملجأٍ آمن للطيور
إلى ملجأ آمن للزهور

قد يكون لليلى التي هام قيسٌ بها
صلة العاشقين...
فأسموه بالعامرية...



كان ممتلئاً بالزهور
وممتلئاً بالطيور
والصواريخ ماهمُّها ؟
غير أن تقتلَ الورد في غصنِهِ
وتفترسَ الطيرَ في عشِّهِ
الصواريخُ لاحقت الأمسَ
أعشاشَنا
ومساكنَنا
وقرانا
ثم مدت مَخالبَها
بشراهةِ موتٍ عجول
لتنهشَ من لحمِ أطفالِنا
ولا شيءَ غيرُ الردى في الصواريخِ

أنّى التفتنا.. وجالت خطانا
تحت ستر الظلامْ
في عيون الأمانْ
تعشوا وناموا...
وثمة من شدّه سهرٌ للإذاعةِ
ومن شدّهُ سهرٌ لحديثٍ حميمٍ
مع الآخرينْ
عيون الصغار على دفءِ صدر الأمومةِ
نامت
والصبياتْ طافت بهن رؤى الأنجم المزهرات
لأيامهن التوالي... .
فرحن يسافرن في غابة الحلمِ العذبِ
حول المداراتِ
ينثرن من عطر أثوابهن
رحيقاً..
على الطرقات... .



كان دفء الأمان

ودفء المكان

غطاءً حنوناً لمن نامَ ليلتها

قبل أن تسفح الريحُ بالموتِ

جيّاشةً همجية ...



أتت الريحُ هدّارةً

تهدّج صوت الآذان

اكفهرّ الندى في عيون اليمام

دارت الأرض دورتها باضطرابْ

وكانت تراقبُ قوس العذاب

يلف المدائن مسترسلاً باتجاه العراق...

أتتنا من الغربِ كانت تصيحْ

تسوّدت البقع القمريةْ..

ونما هاجسٌ في دم الخافرين

ما الذي سوف يجري ؟

أثمةً موتٌ جديد ؟

أو حطامٌ يزيد ؟

بعد كل الذي قد جرى ما الذي تبتغيه الصواريخ منا..

وهي تنشب أنيابها الهمجية ؟

تناهى السكون

وأسرعت الريحُ

صارت تصيح

سيوف من النار من جهة الغربِ

مرّت تصيحْ ..

هو القصفُ دوّى..

تعالى الصراخ

الدماءُ تفجر منها الضياءُ ..

وطاف الحريقُ ..الدخانُ ..الغبار ..

تمازج في ليلةِ الروعِ كلّ الألم

خلط القصفُ لحماً بدمْ

والجدائلُ من شدة العصفِ طارت

الحمائم ماجت ترفرف مذبوحةً

كان في حينها يتهدجُ صوتُ الإمام

قبيل الأذان...
ويرتبك الخطوُ عند الزحامْ
مَزّقوا جسد المرأةِ العامرية
أخرجوا ما بأحشائِها
أجهضوها ..
الجنينُ تقطّع
والحبلُ لما يزل
يربط الكونَ بالسرةِ البابلية...

❖ ❖ ❖

شمّت الروحُ
رائحة الموتِ تخرجُ بين الحطامْ
رأت صورة عجباً
جَسَدَ الأم لما يزل نازفاً
حاضناً كرةً شبه شقراء
قيل – رأسُ ابنها –
بعد أن طار منه الجسدْ ...
أتبكين يا روح للأمِ
أم للولد ؟

ودعيها وهي مذبوحة

أنتِ حتماً نسيت الوداع

قبليها

فقد رحلت لن تعود

تقولين كانت – عروساً –

وكانت ملابس ميلادِها معها

سوف يحتفل الشهداء بها

فاشعلي شمعَها

دون أن تسألي سرّ هذا الخرابْ

أشعليها ولا تحزني

يا أم غيداء...

لا تعتبي

يوجع القلبَ

بعض العتابْ ... .



فوق أطنان ما خلف القصفُ

والعصفُ والارتطامْ

وفي هدأة الليل

غنّي لنا يا شهيدة في يومِ ميلادك الأبدي

على ملجأ العامرية:

((شدّ قوسُ المنايا على سهمه،

عند نوم الحَمام

سهامُ الفجيعةِ مرت مع الريحِ

والريحُ غربية

والشوارعُ هادئة...

فتهدّج صوتُ الأذان...

اقشعر الكلام

واكفهرّ الندى في عيون اليمامْ ..))



حريقٌ..رمادٌ .. دخان ..خراب

سؤال بحجمك يا قلب هذا الزمان

جلدُ من ذاك لما يزل

عالقا فوق صمت الجدار ؟

لماذا تشكل في لوحةٍ

لعروسٍ مسافرةٍ

على شعرها خيّم الياسمين
وفي عينها زورق من حنين...
وذا جلد من ؟
راسماً لوحةً مثلَ خارطةٍ للعراق...
وفي كفّهِ قمرٌ وكتاب ؟ ...

❖ ❖ ❖

الدخان الذي طاف في القصف
والعصفِ
يرسمُ لوحاتهِ معتماً كالخراب
سؤال كبيرٌ ..لماذا ؟
من يجيبُ ..؟
لاتَ وقت سؤال
لات وقت عتاب
قم نصلّي على الشهداءْ
نحنُ مهما حرصنا
لن نوفّي العراقَ
ولا الشهداءْ ...

بغداد في ٩٤/٢/١٣

عند تخوم النجم القطبي

عند تخوم النجم القطبي
اجتمع الأطفال ضحايا الحرب
أغلبهم
من آسيا وأفريقيا
أغلبهم مات ضحية قصفٍ أو مرض أو جوع
اجتمعوا في بيت من ضوء اللّه
عند تخوم النجم القطبي
اجتمع الأطفال
كفوانيس تتلألأ تحت هبوب الريح
وكانوا كملائكة الأحلام
في وطن الأطفال..هناك اجتمعوا
عقدوا مؤتمراً للسلم
وفيه أقروا بالإجماع
أن يتحدوا لمحاربة الظلم .. وأهل الظلم
كان شعار المؤتمرين ...
- فلتسقط أمريكا -

ظمَأ

عسى ولعل

وربتما في تخوم السراب

غدير لظامئةٍ

وربتما في متون السحاب

ولو قطرة من أمل ...

أي وحق الجبال التي شمخت

والسهول التي انبسطت

والرياح التي هفهفت

والغصون التي أورقت

ليس عندي بدنياي غيرك

ولا ظل أحتاجه غير ظلك

فماذا عسى القلبُ يفعلُ

دونك

وهل ستفيدُ عسى .. ولعلّ ..وربتما

لو نظرتُ

فلا تتكحل عيني

بعينك ؟

لو مددتُ يدي

ثم عادت إليَّ

بدونك ..!

لندن١٩٩٢

ليلة شوق

فوق مياه البحر الصامتْ
أبحثُ عن باخرةٍ أو زورقْ
يوصلني لبلادي ..
فوق مطار مغلق
وجواز عاطل ...
أبحثُ عن طائرة تقلعُ بي
لحدود بلادي ...
فوق تخوم الأرض
الباردة السوداء ..
أبحثُ عن درب أسلكه
فأصيرُ على باب بلادي ..
آه كيف انسدت
في وجهي كل الأبواب !
كيف احترقت

فِي القلبِ
جميعُ الأعشاب ؟
أصرخُ يا بغداد ...
لن يأتي صوت
أو بعض جواب ...
أصرخ يا بغداد
يفيض الدمع
تغصّ به الأهداب
بغداد
خطاي تحن
وقلبي مجنون يهذي
فِي ساعة وجدٍ
فِي ليلة شوق
آه .. من يسمعُ ...
من .. يا بغداد .. !

تمثالٌ من الحزن

وكم مرةٍ

تمنيتُ أن أتحجّرْ

أو أكون كتمثال صخرٍ

بأي الحدائق في طرف الأرض

كي لا أرى

ولا أسمعنّ

ولا قلب لي خلف سجن الضلوعِ

يئنُّ

لكي لا أحنُّ

ولا أنزوي تحت جرحي

من الـ (آه) لما تجي

بكل الآسى

فتخنقني

آه يا وطني

يا هواي

ويا شجني

يا تراباً على أم رأسي

يتوجني

يا بحاري ويا سفني

يا غديراً غزيراً سقاني

فعطّشني

يا الذي عدّ كلَّ النجومِ

على مفرش الليلِ حتى اشتراني

لكي لا يقدّر .. كم ثمني ..

آه يا وطني ...

حين ألمسُ جمر عذابك

في البعد ... أبكي ...

كل ثانيةٍ من عذابك

تؤلمني ..

آه لو تدري بغدادُ ما شجني ..

وحين يشدُّ الحصارُ

ذراعيه حولك
أتلوى كطيرٍ على كفّ صياده
وأصرخُ في بئر صمتي العميق
((من سيسمعني))؟ ؟
لم يكن بيدي أن أفارقَ
بيتي الذي أنت فيه
ولكنّه .. زمني ..
لذا كم تمنيتُ أن أتحجر
أو أكون كتمثال صخرٍ
بأي الحدائق في طرف الأرض
كي لا أرى
ولا أسمعن ..
ولا قلب لي خلف سجن الضلوعِ
يئن ..
تمنيتُ..
وأوغلتُ في الحلمِ الصعبِ
حتى رأيتُ بأني

في ساعةٍ ما
في مكان قصي
صرت تمثال صخرٍ
لا دمٌ ..
لا حياة
مرّ بي صِبيةٌ
لعبوا تحت ضوء المساء الحزين
وغنوا ..
((يعيش العراقُ ويبقى
فهو أحلى وأسمى وأنقى))
بدأت أحسُّ بأني أذوب
تخلل صوت العراقِ دمَ الصخر
في قامتي
ذاب شمعي
بدمعي...
ثم عاودني شجني ..
آه يا وطني ..

لندن في ١٩٩٢/١/١٩

محضُ احتمال

حاصرتني السواقي الصغيرة ...
صعدتُ إلى النبعِ
حاصرتني الينابيعُ
لذتُ بالوردِ تحت الظلالْ ..
وما كان للورد مثليَ
أيّ احتمالْ ..
فمن كل زاوية تنبع الأسئلة ...
ضاع مني سؤالْ
شدّ قلبي سؤالْ
أين تهرب نجمتك الليلةَ
قل أيها الليل ...
ضاع الغريب على الطرقات
وصارت خطاهُ إلى بابك الغسقيّ
احتمالْ ..

متى ..؟
أنت مثلي يا قلبُ ،
تجهل كل المواعيد
كلّ الذي يحمل الغيب
من غربةٍ وارتحالْ ..
أنت مثلي يا قلبُ تجهلُ
دفع السؤالْ ..
وتأبى المواعيدُ
أن تتبين للعينِ
خارطةَ الغيبِ
تبقى تحاول .. لكنّما
الغيبُ صعبٌ
وخارطةُ الأفق مهمومة
بالضبابْ..
قل متى ..؟
أنت مثلي يا قلبُ ..
هل ..

لست خائفةً !

هو محضُ سؤالْ ..

ويبقى الندى في ظلال العيون

الجوى بين خفق الضلوع

والمواعيد محض احتمالْ

جرى ما جرى

جرى ما جرى
وكان الذي كان
لا ندم
لا ألم
رغم إني اشتهيتُ البكاء مراراً
بهذا المكان
وإني تمنيتُ لو أن هذا الشتاء
انقضى دونما مطر
والمساءُ بلا ذكريات
أيهذا المساءُ البعيدُ
اقتربْ
نضج الوردُ بين الجفون
وأعطى من الطل ما يطفى الظامئين
لهذا ابتدعتُ لصمتي صلاةً

تقربني من ملاكي الأمين

وتحملني كالنبوءةِ في الغيبِ

والغيبُ رهن الظنون

فلا تندمي

جرى ما جرى

وكان الذي كان

أعالمةً كنتِ

أم كنتِ لا تعلمين ..

لندن١٩٩١

رسام على الطريق

(في بعض مدن العالم شوارع سياحية يخصص جزء منها أوكلها لعرض لوحات الفنانين وأعمالهم، وهناك من الفنانين من يستوقف المارة لرسمِهم ،وشاءت المصادفة وأنا في لندن حيث كنت أعالج ابنتي المريضة ، أن أمر ذات يوم والوقتُ كان عصراً برصيف الفنانين في شارع البيز ووتر ، كنتُ في حينها قد جلبت الدواء من إحدى الصيدليات والتقيت بأناس منذ زمن طويل لم أرهم فانحل الكيس من يدي وسقط الدواء مهشماً على الأرض ... غادرتهم ومشيت وأنا أتلظى والعبرة تكاد تخنقني، على ابنتي و زجاجة دوائها التي انكسرت ... تذكرت وطني .. أهلي ..وأشيائي كلها ..عند عودتي استوقفني فنان طالباً مني أن اجلس ليرسمني ..فكانت هذه القصيدة)..

أتبغين رسماً لذكرى ؟

تأملته ..

بين تلك الرسوم

بيوت طواها الضباب
دروب خلت من خطا العابرين
مساء قناديله موحشات
صوارٍ
بحارٌ
وداع
دموع
غياب
أعادَ السؤال ...
أتبغين رسماً لذكرى ؟
سألت:
وكيف سترسمني ؟
قال: مما أرى
قلت : لا
أريد لحاليَ رسماً
يضاهيني فعلاً
وليس الذي تتملاه عيناك

مما ترى ...

تأملني ثم قال:

صفي وسأرسم ما تصفين

قلت ارسم بكل هدوءٍ ..

امرأةً تنحني كالهلالِ

على طفلةٍ مرضت

انحنت والمنايا تدور

فوق ظهر الهلال

إن تمكنت ارسم بلاداً

قال ما شكلها؟

قلتُ: قلبٌ

له أنهر من حنين

وغابات نخلٍ وتين

به جنة .. جنتان

وأخرى مخبأة

في مدار اليقين ..

لهذي البلاد

جبالٌ تداني السحاب
وتسكب للأرضِ أحلى شرابْ
لها مدنٌ إذا جرحت
في الشمال
يئن الجنوب
وإن مسّت الريح شرقيها
هاج رملٌ بغربيّها
في مداها قرىً من نجومْ
بها لا يضيعُ الغريب
قلت ارسم بلادي
إذا انحني كالهلال
تراها ..
بأهلي عليها
وصحبي .. ومدرستي
والطريق الذي كنتُ أسلكه
وورد الحديقةِ
عند الصباح أقبله

والمعلق لمّا
بخوف الطفولةِ أعبره
بالرصافِة والكرخِ
بالنهرِ والطيرِ والنخلِ
ارسم بلادي
سنيناً أحاورها
شوق ناقةِ بيدِ
تبادلني رجعها
نهيم بأشواقنا
ونحلمُ حين ننامُ على البعدِ
بالفجرِ والمستحيل
ترى هل تمكنتَ رسمي؟
وهل تستطيع الوصول
لغابةِ أشواقنا ؟
تأملْ ..
ترى في عيوني العراق
وفيما يشفّ من الدمعِ

قلباً غريقْ

هناك تأملْ

تراني بحملي

ترفقْ بشوقي

ولا تتعجبْ

لأني غاليتُ في طلبي

أنت بادرتني

وذي صورتي

امرأة تنحني

كالهلال

لندن ١٩٩٢/٢/٨

إعراب

ماالسرُّ

كأني لا أفهم في علمِ النحو

صار الفاعل يأتيني

دوماً مكسورْ ... !

فإذا قلتُ، ((يدافع زيدٌ عن وطنهِ))

ينكسرُ الفاعلْ

وكثيراً ما يتعدّى الكسرُ

إلى المفعول !!

الطارقة

طرقتُ .. طرقتُ .. طرقتُ

أخيراً ...

فُتح البابُ لغيري

حكمة العصافير

كنتَ تفصّلْ

وأنا ألبس

فإذا ضاق الثوبُ

أصيحُ بحرقة روحي : (وّسع ...)

ترفضْ

ثم تبررْ : (أنت كبرتِ فما ذنب الثوبِ)

أعود لأسأل:

هل حكم النخل فسيلته

ألا تكبر ؟

وهل النبعُ يحاصر ؟

والبرقُ بعتمة ليلٍ يقبر ؟

هل شدّ العصفور

جناح العصفورة يوماً بالغصنِ

لكي يختال وحيداً

أم أنهما اتحدا فانطلقا
فابتدعا عشاً
أروعَ من كل قصور المرمر ؟
أتمنى أن لا تغضب
فأنا أسأل ... أسأل ...
لا أكثر ...

طفولة حبي

أحببتك حتى عرّش ورد الحبِ
على شعري وثيابي
ثم تنامى
بستان خزامى
ظلل أيامي
عطّر أوراق كتابي

❖ ❖ ❖

أحببتك حتى حيّرني حالي
في الحب .. وأتعبني
عذبني ...
وتسلّى بعذابي

❖ ❖ ❖

صرتُ أحب الشمس الجذلى
في صبحك

والبحرَ الحالمَ في عينك ...
والنايَ يئن حزيناً
بين ضفافك أو نخلك
أحببتك حتى قلتُ
وأنا في قلب النار
((أحبك))



كيف تعرفت عليك ؟
من دلّ خطايَ إليك ؟
لا تسأل ...
فالبدءُ نهارٌ شتويٌ لا أنساهْ
كنتُ ألوذ بدفئي من شدة برد الصف
أردُ جديلة شعري خلفي
كي لا تزعجني وأنا أكتب ...
جاءت (ست دينا) ❖
وضعت فوق الحائط صورتك الأولى

❖ معلمتي في الصف الأول الابتدائي

قالت:هذي خارطة الوطن العربي ..
إياكم أن تقتربوا منها
أو يعبث أي منكم فيها ...
أفهمتم ؟...
وتعارفنا في ذاك اليوم الماطر
كنتَ كصورة أمي
طول الدرس أمامي
فنسيتُ الخوفَ
وزادَ اطمئناني



أحببتك منذ طفولة أحلامي
وكثيراً ما كنتُ أشذّ عن الدرسِ
أخرج من كل الصفِّ
أطيرُ على قمم الغيم
أحلق في أبعادك
أغسل بالضوء ثيابي
تحت سمائك

كنتُ أحلق كالعصفورة بين بساتينك
أو فوق غلالك
(أتمرى) بالماء الأزرق
وأنام على أحلى زورقْ ..
أسافر في موج الريح
أطير على غابات الكرم
وجبال الفستق
كنتُ أحلق ..
وأحلق ..
وأحلق..
صاحت – ست دينا –
انتبهي !!

❖ ❖ ❖

رجعت إلى نفسي خائفةً
تتساقط فوق الرحلةِ(١) أحلامي
حتى أمتلأ الصف بماء البحر المتوسط

---

(١) الرّحلة : مقعد خشبي لجلوس الطالب في المدرسة

وتميراتٍ من نجدٍ

كان على ثوبي

بُقيا من ريش عصافير المغربْ ..

قالت: انتبهي ...

هذا درس الإنشاء

وليكتبْ كل منكم موضوعاً يعجبه ...

قلتُ:سأكتب عنها ...

عن أطفال الشمس وحوريا ت البحر ...

عن غابات الليل

وخلجان الورد ...

عن أم ولدتني في بيت الشعراء ...

من ماءٍ بني عبد منافٍ

وبني هاشم روتني ...

عن أمّ من ماء الشمس

بكفيهّا غسلتني



جاء الدرس الثاني

شدتني الصورة ثانيةً
أمعنتُ بها ...
ففزعت كثيراً حين تخيلتُ
خطوطَ الطولِ
خطوط العرضْ
قضباناً دوّرها العالم حولك
كدتُ أصيح من الخوف وأصرخ
لكنّي لم أفعلْ ...
في (الفرصةِ)(١) قمتُ
مسحتُ خطوط الطولُ
مسحتُ خطوط العرض ... !



أحببتك ... حتى أحببتك ...
وعلى إيقاع نشيد الصفِ
مع الصبح سمعتك
((بلاد العربِ أوطاني

(١) الفرصة : الإستراحة بين الدروس

من الشامِ لبغدانِ

ومن نجدٍ إلى يمنٍ

إلى مصر فتطوانِ))

في اليوم التالي

حين دخلت الصف

رأيت الصورة قد شرخت

فزّت كل عصافير دمي

ارتجف القلب ...

من شرخ الصورةَ يا أولاد ؟

قالوا : لا ندري

الفاعل مجهول !!



كنت أحدق فيها

أكتب بالدمعِ المسكوبِ عليها ...

من مزّقها ؟

من جرحها ؟

دمها الحرّ يسيل عليها ...

اختلط الدمُ
بالرملِ ...
بماء العين ...
بلون الكحل ..
عدت إلى البيت
وقلبي مكسور
من شرخ الصورة ؟
قالوا : مجهول ...

❖ ❖ ❖

صورتك اليوم أمامي
مثل المرآة ... عليها في الصبح أمشط شعري
من غابات العطرِ عليها
أستنشق عطري ..
من تطوان إلى عدنٍ
من رأس البيشةِ حتى الخرطوم
من بغداد إلى تونس
حتى بيروت ...

تتطاير في بيتي
شذرات الضوء
نجيمات البحر
وعصافير الحب ...



ولأني أحببتك
حتى عرش ورد الحب
على شعري وثيابي
ثم تنامى
بستان خزامى
يتناسل في أوراقي
أو طيات كتابي ...
ستظل أميري
وصديقي
وغرامي

مولاي أيها الشعر

كم تمنيتُ بوادي عبقرٍ تهتَ
فما أدركت بابي
أنت يا شعرُ تمكنت فأسرفت
وما أضناك مابي
جئتني والعمرُ غضٌّ
فتصرفت بأحلامي
ولم ترحم شبابي
كنت سلطاناً خرافياً
عتا فاحتل قلبي
وتدخلت بنومي
وطعامي وشرابي
أنت لم تترك لأيامي خياراً
أو طريقاً لانسحابي
كلما أغفو لأنساك ، ولو حيناً
أفز الصبح ألقاك

عصافيراً بأوراقي

وطيات كتابي

كيف أنجو منك قل لي

قيدك استعصى

وما لي حيلةٌ

تنهي عذابي

كيف أنجو منك يا مولاي

والدنيا إذا ضاقت بعيني

لا أرى غيرك في الدنيا ملاذاً

وإذا حلقتُ

عيناك رحابي

❖ ❖ ❖

الغائب

ذاب الشمع
على الشمع
وسالَ الدمع
على الدمع
جاش الحزن الخانق
وارتعدت ريح القلب
مَن الطارق ؟
لا أحد ...
ريح هزّت وجع الباب
ومرّت عابرة
لكن الباب اهتزّ ...
اثنين ... ثلاثا ...
فزّ على غصن القلب سؤال ...
((مَن ؟))

رفرفت الآمال

أيأتي؟

لا أحد يدري كيف .. متى .. أين ..

لكن العين

تراهُ قريباً

وتحس بخطوته الأولى

تطرق باب البيت

تكاد تصيح من الفرحة

ها قد آب ..

وهو الآن يدق الباب

يدق ..

يدق ..

يدق .. الباب

صوّرنا يا مندوب

ناعور الدنيا
بالعكسِ يدور
وقوانينُ الأرضِ تطبّق بالمقلوب
لا بأس إذاً
أن تنقل صورتنا للعالم ...
هيّأنا جواً للتصوير
لا نخشى ((بعد خراب البصرةِ شيئاً)) (١)
صوّرنا يا مندوب ...

❖ ❖ ❖

صوّر أحفاد حامورابي
"أسرى"لقراصنة العصر
بابل- زهو الدنيا
يجتاحُ روابيها طوفانُ دخانٍ وحريق ...

---

(١) مثل عراقي شعبي

غرقت دجلة ثانيةً
بدم الأطفال وحبر العلماء ...



ذي بابل من أشرقت الأمس على الدنيا
دارت سكين الغاصب فوق النحر
جزّت مابين وريدٍ ووريدٍ ...
بابل تصرخُ والدنيا تنظر ...
من يسمع ؟
من يحكم ؟
من يحسم ؟
إن كان الخصمُ هو الحاكم
ميزانُ العدلِ بكف القاضي
مقلوبْ ...
صوّرنا يا مندوب ...



النفطُ لهم
ولنا الجوعُ

الماءُ لهم

ولنا العطشٌّ المرّ

ربيعاً بعد ربيع ...

الأمن لهم

ولنا الرعبُ من القصف الوحشي

لنا ما لذ وطاب من الأسلحة الفتاكةِ

والتدمير ...

ويقولون بأنا – أرعبناهم – أزعجناهم –

صوّرنا يا مندوب ...



قالت أم من بغداد...

يبدو أن الأمر عجيبٌ وغريب ...

إنْ يكذب طفل نضربه فوق الكف

لكي يعرف أنّ الكذب حرام ...

دولٌ كبرى تكذب ...!

أرأيتم تحريراً – بالقوة - ؟

ما أروع عصر الحريات ...

على ضوء قوانين الغاب ...

صوّرنا في عزّ الغابةِ

يا مندوب ...



سألت امرأة من غزةَ

: دافع أولادي عن حقٍّ مسلوب ...

ما انتهكوا حق الغير ...ما ظلموا

فلماذا يحكم للظالم

ويُصَبُ اللومُ على المظلوم؟

سرقوا وطني

هدموا بيتي

قتلوا ابني

صرخت وهي تلوب

ليس سوى الصمتِ مجيب ...

صوّرها يا مندوب ...



قصفٌ وحشيٌّ

تحت ركام الأبنيةِ المقصوفةِ

ناسٌ بسطاءٌ
ناموا ليلتهم بأمان ..
حلموا بالخبز الحار وبالجبنِ مع الزيتون ..
آه ما أهونَ قتل الإنسان
إلاّ من كان على الطرف الآخر للدنيا
حتى الكلب هناك
له قانون يحميه
وله حقٌّ أن يحيا
بسلامٍ وأمان ...
إلاّ نحنُ
فأمر الدنيا فينا
سيظل غريباً وعجيب ...
صوّرنا يا مندوب



اختلط الحابلُ بالنابلِ
يسرقنا المحتلُّ ولا يُسأل
بل نُسألُ نحنُ

لماذا أقلقنا راحته
عفواً – مولانا المحتل –
نسينا أنّا في زمنٍ مقلوب
ما عدنا من فرط المأساة نميّزُ
مابين السالبِ والمسلوبْ...
صوّرنا يا مندوب ...

❖ ❖ ❖

من كلّ جنوب الأرض
تسيرُ الأنهارُ بما وهبت
والأشجار بما حملت ...
الأرضُ بما فيها من نفطٍ، ذهبٍ، ماسٍ وحرير
وابن جنوب الأرض
فقيرٌ عارٍ وحسير...
يقتله البردُ ويهلكه الجوعُ
أو الداءُ ..أو الأفيون ...
أوَ تحتاج الأرض لقانونٍ يحميها ؟
هل يكفي القانون ؟

هذا عصرُ الجبارين

عصرُ الغاب المجنون ...

هذا عصر الناهب والمنهوب

لا تخشوا من ثقبٍ في ميزان الأوزون ...

اخشوا من ثقبٍ في ميزان العدل

اخشوا من يحكمُ هذي الدنيا

بالمقلوب ...

اخشوا من كلّ ضميرٍ

معطوبْ

صوّرنا يا مندوب....

دمشق ٢٠٠٣

لماذا بلادي تدمّر؟

دعوني من الهمّ أهذي
ومن قسوة الجرحِ أهذر
لماذا بلادي تدمّر؟
وشعبي العريقُ
يُذلّ ويقهر؟
لماذا الحروبُ
سمات عصوري
وما عشتُ دهراً بلا ويلةٍ
منذ بابل وسومر؟
لماذا بلادي تدمّر؟
أليست مساميرها
دقّت الحرف للناسِ يوماً
وقالت لكل الشعوب إقرؤوا واكتبوا
وقدّت من الطينِ دفتر؟

لماذا بلادي تدمّر؟

وأطفالها كالرياحين فوق المهودِ تموتُ

قلوبٌ تغيبُ

وأخرى تذوبُ

وأخرى من القهرِ تُكسر ...

لماذا بلادي تدمّر؟

لماذا يجوعُ العراق

وتحت ثراه الكنوز

وفوق ثراه الفراتانِ مسكٌ وعنبر ... ؟

لماذا يغني العراقُ السلامَ

وأهل العراقِ

يموتون قصفاً

وقتلاً .. وذبحاً

يساقون للموتِ قسراً

وكلٌّ على صخرة المجدِ يُنحر...

لماذا بلادي تدمّر؟

يقولون كان الظلامُ رهيباً ...

ومن كلّ حيفٍ أشدُّ وأكبر؟

وإن كان فينا ظلام

أأيدي الغزاة تنيرُ الدروبَ أمامَ الشعوب

أم أنّ الغزاة

أتوا ينهبون ..

أتوا يحرقون ..

أتوا يقتلون ...

أتوا يظلمون

ولكنما الله أكبر

على من قسا وتجبّر ..

دعوني من الهمّ أهذي

ومن قسوة الجرحِ أهذر..

يقولون ظلم تفشّى بكل البلاد

وجاؤوا لتحريرها ... .

وأهل البلادِ..أكانوا نياماً ؟

أكانوا سباتاً؟

وكيف استشاطوا من الغيظِ

هبّوا لدحر الغزاة
ألم يرهبوا بطشهم؟
ألم يحسبوا أنهم من جميعِ قوى الأرضِ
أقوى وأخطر؟
أأسخرُ ؟..لا لست أسخر..
ولكنني جئتُ أسأل
ونارُ الأسى مثل جمر الغضا
في الجوانحِ تسعرْ
لماذا بلادي تدمّر؟
بلاد النخيلِ
وبرد الصباح العليل ...
بلاد الشمال المغطى بثوب النجوم
بلاد الجنوب الحزين ..
بلاد الشموعِ
بلاد الدموعِ
بلاد التراب المشذّى
بدمعٍ وحبرٍ ودم...

تستفيقُ الزنابقُ من نومها حينَ تمطرْ..

يعجز الوصف إن جئت تفخر

ويعجز دمع المحاجرِ

إن جئت تُخبر...

ومازلتُ أسأل...

لماذا بلادي تدمّر؟

إنها لوعة ليس أثقلُ من وزرها

ثكلُ أمٍ لواحدها

يشيّع من بيتها وهي تنظر ...

ولوكان ابني

لشيّعته وانتهيت

ولكنه وطني ...

دونه الابن والمال والروح...

لا عشت دون العراق

ويا ليتني قبل سبي العراق

كنتُ نسياً

ولا حيّةً في الوجودِ فأذكر..

دعوني

منَ الهّمِ أهذي

ومن قسوة الجرحِ أهذر ...

لماذا بلادي تدمّر؟

دمشق ٢٠٠٤

ونرقى لعمق السماء

خرافية نجمة الصبح
فوق اللواء
وكان يرفرف كيف وأنىّ يشاء
أعانقه في الأعالي
وقلبي جناح ملاك
يا لواء انتصاراتنا
يا أعزّ لواء
منذ فجر الزمان
وأنت على طرقات السماء
أجلَّ لواء
وكنتْ العزيز الذي تفتديه الدماء
ومازلت فينا
الهوى والندى والرجاء
فوق هام الثريا تحلق
وها أنت ها ..
قبلة من فمي فوق اسم الجلالة
ونرقى سوياً لعمق السماء

لا أدري أين

ليلي مطرٌ
يتهادى كالمجنون ...
ريحْ باردةٌ
ونعاسٌ وشجون ...
ليلي شعرٌ
وغناءٌ
يتفجر من خلل الصمت الجاثم حولي
في كل مكان ...
ليلي أنت
وأنت قريب
كالنبض تدقُ على الرسغين
وعلى إيقاع النبض
أكتب شعراً وأحلق
لكنّي لاأدري ... أين ...
مطرٌ وسماءٌ باردةٌ ... وشجون ...

وبعيد ... أنت ... بعيد

كالنجم بعيد

وقريب كالنبض على الرسغين

يتبعني ظللك

كالقمر النعسان وراء نخيل النهرين ...

يا أغلى من ضمته ضلوعي

وأغلى من ماء العين

قل لي دربك من أين؟

❖ ❖ ❖

لندن ١٩٩١

أعطني ساعة

أعطني ساعة
ليس فيها زمانْ
وليس لدقاتها مبضعٌ
يستفز الأمانْ
أعطني ساعةً
لا تسيرُ عقاربها باتجاهي
ولا وقت فيها لخيل الرهانْ
أعطني ساعة من حنان
ودعني أكون .. بأي مكان

بغداد ١٩٨٦

أميرة بابل(١)

مسكني في الذرى
والنجومُ على بابِ بيتي خدمْ ...
هديلُ الحمامِ على كرمة اللّه أسمعه
وأشرع نافذةً لطيور القمم
وذي ليلتي
فخرُ كل الليالي
بها سأتوجُ عرش النساءِ
ببابل
وآشور
في موكبٍ من بهاءْ
عن يميني أهلّة أهلي
وفرقدهم عن شمالي
بداية موكبنا

(١) ألقيت في مربد الشعراء العرب ببغداد عام ١٩٨٧

عند نبع القمر
نهايتُهُ ترتفع
ألف ميلٍ عن الفاو
في غابةٍ من نخيلِ السماواتِ
محفوفة بالزهر...
فانظري صوبَ ذاك المدى
ماترين ؟
((لا أرى سوى شجرٍ من غيومٍ ،تسيرُ إلينا
دلالةُ خيرٍ من اللّه سيدتي))
فلندع أمرها
ولنقمْ إلى شأننا
حانَ موعدُ موكبنا ،
فهيّا ابنتي ...
زيّني عربات المساءْ
وأسرجي خيلها عند نبع القمر
هيئي حرس القصر
والعرشَ والصولجان

أوقدي في أكف الصغارِ
شموعَ المعابدِ والأولياءْ
ازرعي الآس في جنبات الطريق
ورشّي مياه الورودِ
على المركباتِ ...
سألبسُ أحلى ثيابي
.. وأمشي أمام جميع النساء . . .
فوقَ جفنيَ
أحلامُ كل الليالي
وأخبارُ تلك السنين الخوالي
باسمِ نهرين من عسلٍ
يجريان بوادي السلامِ
أسيرُ بركب الزمانْ
خطوةً إثر خطوة ،
أسيرُ على أرضِ بابل
مزدانة بالبهاءِ
كأن الذي كان حانَ

ومن بيننا جاء هذا الزمانْ

وأنتن يا خالدات النساءِ

اقتربنَ

وباسم الإله

ارفعن على هامتي التاج

فواللّه واللّه ما أروعه

لآلئُهُ قطراتُ ندىً

من جبينِ المقاتل...

زمرّده برقُ طيارةٍ

من مساء النوازلْ

عقيقته قطرةٌ من دم الأكرمين

تشعُ بليل السواترِ ...

واللّه واللّه ما أجمله

سبّحت فوقه الدعواتْ

ومرّت عليه لأم الشهيد

صلاةْ...

واللّه.. واللّه ما أعظمه

درّهُ من نقاء الجنودِ

وبرقِ خواتمهم

في فيافي الحدود ...

فهيّا أيتها الماجدات

ارفعن على هامتي التاج

فليلتنا هذهِ فخرُ كل الليالي

كأن الذي كان حانَ

ومن بيننا جاء هذا الزمان

ارفعن على هامتي التاج باسم الإلهْ

وانظرن إلى الأفق ثانيةً

ماترين ؟ ...

((إن غيماًيسيرُ الهوينا إلينا

كما الشجر البابلي))...

انظرن ...

تلك غيمةُ عشقٍ أتت

لتبارك موكبنا من سماء الخليج ..

انظرن ..

تلك أخرى أتتْ

من مغارب دارتنا

وأخرى لها وجه مصر ...

ألا فلنصفق

تلك أخرى تحلقُ .

قد أتت من جنوب البلاد الجريحة ،

صنوبرة توجت بهلالٍ ...

وتلكْ ...

غيمةٌ رنّقت من شمال الفرات

حمّلتها دمشقُ رسائل عشقٍ

عليها تواقيعُ دمعٍ ودم ...

تلك أخرى تسيرُ إلينا

إنها من سماءٍ جنينٍ

تحفُّ بها أغنيات الرياح

((ياميجانا وميجانا . . ويا ميجانا

زهر البنفسج

يا ربيع بلادنا ...))

غيومٌ ... غيوم ...
احتفاء السماواتِ والأرضين
احتفاء البحارِ وكل الرياحِ
بموكبنا . .
فلندقَّ الطبولَ
ونسرج للعيدِ كلّ الخيول
وأنتن يا سيدات العراق
احملن رموز الفخارِ
فليلتنا هذه فخرُ كل الليالي
كأن الذي كان حانَ
ومن بيننا جاء هذا الزمان
وقلن لأولادِ عم لنا
قد أتوا بالتهاني
معطرة بالأماني
ألا فلترف البيارق
من مشارقها
للمغارب .

حمورابي هنا منذ فجر الزمان
بانتظار البشارة . .
حمو رابي أعدّ لكل الجنود
عطايا من المجدِ والخلدِ . . .
حمو رابي هنا ، جالسٌ بيننا
انظروا بينكم . . .
جاء كي نرتقي معه للعلاء
صوب بيت العراق
في تخومِ الذرى، عند نبع القمر
ألفُ ميلٍ عن الفاو
يميّزه في العلاء
بريقُ السيوفِ
إذا ما المساء ادلهمّ .
وبرقُ أساورنا
إذا ما الصباحُ ابتسم
هنا في تخوم الذرى مسكني
يسيجهُ بالقنا

كلّ شهمٍ أشمٍّ
ويحميهِ من كل غائلةٍ
ألفُ نسرٍ ونسرٍ
وليدُ القمم
ركائزه من رخامِ المساجدِ
وسقفُ بنائه
شعبٌ يجاهد
مداخله مشرعات
لريحِ الحنانِ
وعبق القصائد
فادخلي يا غيوم الشمال
وادخلي ياغيوم الجنوب
فليلتنا هذه فخرُ كل الليالي
كأن الذي كان حان
ومن بيتنا...
جاء بدر الزمان .

هبوب

خطرت ريحهم من جنوبٍ
فرقَّ الفؤادُ لها
ثم رقْ ...
ومست شغافاً
نديَّ الجناح
صبغت لونه بالشفقْ ....
خطرت ريحهم من جنوبٍ
فدقَّ الفؤادُ لها مئةً
ثم دقْ...
وكان الفؤاد صباح الهبوبِ
خلياً ،
وعيناهُ هادئتان،
لم تكن حالةُ الطقسِ
خائفةً

لم تكن ساعة الوقتِ

نائمةً

لم يكن . . .

خطرت ريحهم من جنوبٍ

محملةً برؤى نخلةٍ

شابكتها الفسائل

خطرت ريحهم من جنوبٍ

مطاردة بالبلابلْ . . .

في جلابيبها مسك نرجسةٍ

وحبيبٌ يقاتلْ

قطار إلى بويب

على رجعِ صوتكَ

دندن قلبي

وعاوده شجنٌ

مَنْ يقصّر لي خيط دربي ؟

ومَنْ ذا يعيرالقطاةَ جناحاً

يطيرُ به للجنوب

مَسيل الرياحِ جنوبْ

وقلبي هبوب

فهل مَنْ رأى رجلاً

شدَّ قلبي

إلى غابةٍ في بويب

❖ ❖ ❖

بويبٌ .... بويب ....

قيلَ:إنا لمحنا ظلالاً هناك

فربتما كان هوْ ...

وربتما شجراً حركته الرياح ...

رجلٌ قال إني لمحتُ قبيل مساء الهجومْ .

شبحاً راجلاً بين ذاك النخيلِ ...

توجستْ منهُ ...

ولمّا صرخت .....

عادَ لي رجعُ صوتي بويبٌ .... بويبٌ...



قالتُ الريحُ ....

إني شهدتُ إيابه

كان يمشي الهوينا

بجسمٍ نحيلٍ

وقلب ثقيلْ

كان مضطرباً .... قلقاً ،

صامتاً ... كبويب ....



بويبُ ... بويبُ ...

محطة ليلي انتظارٌ

وفانوس قلبي

شجيرةُ نارٍ

فأين الطريق إلى غابة النخلِ

حتى أراهُ ....

ظليلاً يسافرُ بين النخيل

حبيباً ، غريباً ،

قريباً ، بعيداً

يؤرقه حبّهُ

وتلحُ عليه قصائدهُ

أنَ أراه

يقوم بقامتهِ

واقفاً مثل نخلتهِ

حارساً بيت قلبه

وذكرى حبيباتهِ

هكذا واقفٌ

طولَ ليلتِهِ

((مَنْ يمسُّ بويباً . . وأهلَ بويبْ؟

أو يمس جدائل قريتهِ ؟

مَنْ ؟ ؟

وتشرقُ في خاطري

دمعةٌ ،

يا بويب .....

بغداد ١٩٨٦

بدا مابدا

واذكر أنّا التقينا
هنا صدفةً
فاهتديت إلى دربكم
عبرَ رائحة الهيل
والقهوةِ الدافئة ،
وأذكرُ
أنّا شربنا سوياً ،
قلتُ: خذ حلوها
واترك المرّ لي،
وأذكرُ أنّا
مشينا سوياً ،
وهبّتْ شمال
فأعقبها مطر
ثم برقٌ وريح
وكادت تزلزل من تحتنا ،
لم أكن في اصطحابك خائفة ،

بل أصعد موج التحدي
فجندت صبري
وهيأت عمري
لأحميك من قسوةِ الريحِ يوماً ،
وأذكرُ أنّا مشينا كثيراً
فجعنا ولا لقمة فأخرجتُ قلبي زوادة
قلتَ: خذ .... هاكَها
قلتَ ((لا))
قلتُ:لا تتردد . . .
فما لي سواه أقدمهُ ،
وحين تأهبت ،
درَّ الحليبُ على ثوب أمي
تراجعتُ خوفاً ،
وعشنا سويّاً ،
على الجوعِ والبردِ
ومرَّ قطار الزمان سريعاً ،
مرَّت الريحُ
والناسُ والذكريات

نسيتُ بأنّا التقينا

بإحدى المحطات يوماً ،

وأنت نسيت

التقينا هنا صدفة ،

وها أنت تنظر ..... ملء عينيك

حالي

مسّني الضر

كن عادلاً في النظر ،

لا تمهد لعصف الظنون

ولا تلتفت للوراء

أو لغيري

فتتركني فجأة

في مهبِّ القدر . . .

مالقلبي عليك

سوى ثدي أُمي ،

أيها الحزن لا تستتر

وأيتها النجمة البابلية

شعي بضوءِ الإله على وطني

وأجعليني على بابهِ
نخلة أو قمر . . .
بدا مابدا ،
غير أن البدايات
ليست
هي المنتهى
بدا مابدا
ليس أمراً عجيباً
مسير القوافل
نحو مواطن أعدائها
والحداةُ نيام
فلا من دليل
بليل السرى ،
لا نجوم
ولا فرقد . . .
بدامابدا ،
غير أن البدايات
ليست هي المنتهى .

ما يزال القرنفل يغفو

إلى الشهيدة الغالية د :إلهام خليل التي راحت ضحية
القصف الأمريكي الأهوج، لملجأ العامرية

منذ عشر سنين افترقنا
ولم نلتق
كعشر دقائق مرت
ومازلتِ في ثوبك السندسي
تخطرين على حدقي
ما يزال القرنفل يغفو
على منكبيك
وأجراس صوتك في أذني
تذكرني
إن إلهام كانت
حمامة دار أنيسة
وكانت ودودة ...

وكانت رقيقة

عراقية الوجه

كرخية الطبع

مشبوبةً بهوى الرافدين

وكانت تهيم بحب العراق

وكنت أنافسها

نتسابق كنّا بأحلى سباق .. فزت بالشعر يوماً

ولكنها بالشهادة فازت .. فمرحى لها وهي تمسك كأس الخلود ..

ما يزال القرنفل يغفو

الهام تخطر مثل اليمامة

تذكرتها فاستفز الحشا وجع

حشّد الغيم والبرق في خاطري

مشيت إلى العامريةِ تحت الرذاذ الحزين

أبعد شتاءاتنا العشر تأتي ؟

قلت يا زهرة البرِّ قومي

أما تسألين علينا ؟

أما شدّك الشوق يوماً إلينا ؟
أما قد خطرنا ببالك
والحرب تكوي الضلوع
تجيئين زائرة
فنريك منازلنا كيف صارت
متاريس تحمي البلاد ..
والعصافير أتقنت الضغط
فوق الزناد ..
والنخيل .. النخيل .. عتاد .. تعالي إلينا .. نريك العجب
وشدّي على موضع الجرح شدّي
ولا تحزني
فما ترك الغادرون وما ترك الحاقدون
مكاناً خليّاً من الرشق فينا
وما من مكان سلته الجراح
بيد أنا صعدنا .. وإنّا صمدنا ..
وكل السهام التي رشقتنا
أعيدت إلى أكبد الراشقين

وكل الجراح تداوت
بصبر الحسين ..
وكل العدا سقطوا
والبلاد التي حملتنا ارتقت للعلاء
وصارت ثريّا
بعزّ السماء ..
ونوح تجلّى كبدر علينا
تعالي نريك الذي يثلج الصدر
رغم اللهيب الذي أشعلوه
فما زادنا غير تقوى
وما زادنا غير وجد شفيف
يلف جوانحنا فنلوذ ببعض
نحنُّ لبعض
ونترك أعداءنا حائرين
وهم ينظرون إلينا
يا حمامة بيت العراق
أهدلي عزة وإباء ..

واذكري عهدنا

حين كنا نهيم بحب العراق

أنت فزت بكأس الخلود

وفزنا بعهد قطعناه

إما نكون .. أو لا نكون ..

فإما نكون .. أو لا نكون

بغداد ٢٠٠١

الفهرس

صدر للشاعرة

١ – طفلة النخل بغداد/١٩٧٩- الطبعة الأولى

بيروت /١٩٨١- الطبعة الثانية.

٢ – هوى النخل بغداد /١٩٨٣

٣ – الطلع بغداد/١٩٨٦

٤ – عند نبع القمر بغداد/١٩٨٧

٥ – ديوان البابليات بغداد/١٩٨٩

٦ – قمر فوق جسر المعلق ـ الأردن ـ عمان/١٩٩٣

٧ – شهقات بغداد/١٩٩٦

٨ – السّرى لسهيل بغداد/٢٠٠٠

٩ – رسائل إلى سكان الأرض ـ (قصائد مترجمة إلى اللغة الإنكليزية)

نيويورك/٢٠٠٠ طبعة أولى

بغداد /٢٠٠١ الطبعة الثانية

١٠ – تباريح سومرية دمشق/ اتحاد الكتاب العرب٢٠٠٤